كيف تكون مسلما

الجزء الثاني

تأليف:

عبداللطيف سراج الدين

بسم الله الرحمن الرحيم,

والصلاة والسلام على عباده المرسلين,صلاة وسلاما يدومان بدوام ملك الله العظيم..

أيها السادة الكرام,رأينا في المرحلة الأولى:أنه ليس في الإسلام مضيعة للوقت,فلا يمكن أن نجعل أول عمل المسلم,البحث في الصفات الإلهية,ولا البحث في صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام وترك الأهم,وهوالاشتغال بعبادة الله تعالى.إ لا اذاكنا نشتغل بذلك ونحن نعبده عزوجل.فالطفل كما رأينا,بمجرد بلوغه سن السابعة من عمره,وجب علينا إرشاده إلى الصلاة,وتعليمه:أن الله تعالى خلقنا,وصورنا في أحسن صورة,ومنحنا العقل,والعلم,وأعطانا الأكل,فإذا لم نصل عذبنا..كما يجب علينا أن نعلمه فضائل الأخلاق,وقيم الصدق,والوفاء,وحسن المعاملة,والشجاعة,والكرم, وبينا له أن الكذب والسرقة حرام...فإذا بلغ سن العاشرة,ولم يمتثل لأوامرنا ضربناه ضربا خفيفا,يعلمه طاعة من هوأكبرمنه..لأننا مسؤولون عنه وعن سلوكه ومعتقداته,حتى يبلغ سن الرشد,لقول الرسول عليه الصلاة والسلام:إن الله سائل كل راع عما استرعاه,

أحفظ ذلك أم ضيع,حتى يسأل الرجل عن أهل بيته.وفي حديث كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..الأول روي من طريقين,طريق جاء فيها مرسلا,وطريق جاء فيها مسندا صحيحا,حسب الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.فإذا كان تحت الرعاية الجيدة,كبرالطفل أو الطفلة مكتسبا ملكة الاستقامة,صابراعلى الطاعة,محبا للعمل الصالح.فإذا بلغ سن الرشد علمناه طرقا منطقية مفيدة صائبة,وغيرمتعمقة,لأن

المنطق بطرقه المعقدة قديكبو.ذلك أنه يأتي بالشيء وضده معا...وفي

2

الحديث الصحيح:إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول:من خلقك؟فيقول: الله.فيقول:فمن خلق الله؟فإذا وجد ذلك أحدكم فليقرأ آمنت بالله

ورسوله,فإن ذلك يذهب عنه.وللحديث رواية أخرى هي:يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقول قائلهم:هذا الله خلق الخلق,فمن خلق الله عزوجل؟فإذا قالوا ذلك فقولوا:الله أحد,الله الصمد,لم يلد ولم يولد,ولم يكن له كفؤا أحد.ثم ليتفل عن يساره ثلاثا,وليستعذ من الشيطان.وهما في السلسلة الصحية للشيخ الألباني رحمه الله تعالى.فمن هذ ين الحديثين نستنتج أن التوغل في البرهنة المنطقية قد تخرج بنا عن جادة الطريق..خاصة إذاخضنا فيما لم نكلف به.. مثل هل الله تعالى داخل العالم أوخارجه,أم أنه لا داخل العالم ولا خارجه؟فهذا علم لم نكلف الخوض فيه,و الجواب موجود في القرآن الكريم.ومع ذلك اختلف الناس في أمرواضح,مبين بتفصيل. قال الله تعالى: إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَيَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [الأعراف : 54]وقال تعالى: إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ [يونس : 3]وقال تعالى: اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ [الرعد : 2]والآيات كثيرة في هذا الباب.ثم إن الوجود وجودان فقط , خارج وداخل.فالله

تعالى في أحدهما,وإلا جعلناه غيرموجود..وهذا محال.فماذا قال السادة العلماء في هذا الباب؟

3

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

قول اهل السنة والجماعة:وهم يثبتون أن الله تعالى على العرش,وأن حملة العرش أقرب إليه ممن دونهم,,,وقال في الجهمية من المتكلمين:إنهم يقولون :إن الله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه,ولا فوقه ولا تحته,فهم يؤولون أو يفوضون...ولقد كفرهم البعض وجعلهم خارج الفرق الثلاث والسبعين...وبعض الصوفية والسالمية قالوا:إنه فوق العرش وهو في كل مكان...ثم قال:وكل من قال :إن الله تعالى بذاته في كل مكان فهو مخالف للإجماع...هذا بتصرف. أما عن الإتيان والنزول فقال:قال الرازي:

الصفات ثلاث: ما يلزمها الإضافات ,ومالا يلزمها,والإضافات والإضافات المحضة.الأولى مثل العلم,والقدرة.والثانية مثل البياض والسواد.والثالثة نسب محضة.ككون الشيء قبل غيره,وكونه يمينا أو شمالا لغيره..والحاصل أنه ليس هناك صفة إلهية حادثة,خلاف ما ذهب إليه الكرامية دون سواهم,فهم يعتقدون وقوع التغييرفي الصفات الحقيقية...وقد سلك البعض مسلك جمع أدلة الفلاسفة والمتكلمين,فاخطأواوتناقضوا,وسموا أنفسهم أصحاب :الجواب الباهر.وقد ذكرها الرازي في كتبه ورجحها,وأخذها عنه الأرموي, وذكرها في كتاب : الأربعين..وأخذها عنه القشيري المصري..وهو قول يشبه قول الحرنانيين القائلين بالقدماء الخمسة..

قول الشيخ ميارة من المالكية رحكه الله تعالى:

أَجمعَ أَهْلُ الحَقِّ قَاطِبَةً على أنَّ الله تَعالى لاجِهَةَ له ، فلا فوقَ له

ولا تحتَ ولايمينَ ولا شمالَ ولا أمامَ ولا خَلْفَ....

4

قَالَ سَيْفُ الدِّيْنِ الآمِدِيُّ الشَّافِعِيُّ رحمه الله تعالى (ت 631هـ) فِي كِتَابِهِ غَايَةِ الْمَرَامِ ما نَصُّه:

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ: فِي إِبْطَالِ التَّشْبِيْهِ وَبَيَانِ مَا لَا يَجُوْزُ عَلَى اللهِ " تَعَالَى. مُعْتَقَدُ أَهْلِ الْحَقِّ: أَنَّ البَارِئَ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنَ الحَادِثَاتِ وَلَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ مِنَ الكَائِنَاتِ بَلْ هُوَ بِذَاتِهِ مُنْفَرِدٌ عَنْ جَمِيْعِ الْمَخْلُوْقَاتِ (أَيْ لَا يُشْبِهُهَا) وَأَنه لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَلَا جِسْمٍ وَلَا عَرَضٍ لَا تَحُلُّهُ الكَائِنَاتُ وَلَا تُمَازِجُهُ الحَادِثَاتُ وَلَا لَهُ مَكَانٌ يَحْوِيْهِ وَلَا زَمَانٌ هُوَ فِيْهِ أَوَّل لَا قَبْلَ لَهُ وَءَاخِر لَا بَعْدَ لَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ عَسَاكِرَ الدِّمَشْقِيُّ (ت 571هـ) فِي بَيَانِ كَذِبِ الْمُفْتَرِي مَا نَصُّ:

وَقَالَتِ الحَشْوِيَّةُ وَالْمُجَسِّمَةُ: إِنَّه سُبْحَانَهُ حَالٌّ فِي الْعَرْشِ وَإِنَّ " الْعَرْشَ مَكَانٌ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ، فَسَلَكَ (الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عنه طَرِيْقَةً بَيْنَهُمَا (أَيْ بَيْنَ النَّجَّارِيَّةِ وَالْمُجَسِّمَةِ) فَقَال :كان ولا مكان,فخلق الْعَرْشَ وَالكُرْسِيَّ وَلَم يحْتَجْ إِلَى مَكَانٍ، وَهُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ

قالَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيْفَةَ رحمه الله تعالى (ت 150هـ) فِي كِتَابِ الفِقْهِ الأَبْسَطِ مَا نَصُّه :

5

كَانَ الله تَعَالَى وَلَا مَكَان قَبْلَ أَنْ يَخْلُق الْخَلْقَ، وَكَانَ الله تَعَالَى كما كان قبل خلقه...

قالَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيْفَةَ رحمه الله تعالى (ت 150هـ) فِي كِتَابِ الفِقْهِ الأَبْسَطِ مَا نَصُّهُ

كَانَ الله تَعَالَى وَلَا مَكَان قَبْلَ أَنْ يَخْلُق الْخَلْقَ، وَكَانَ الله تَعَالَى أَيْ وَبَعْدَ خَلْق الْمَكَانِ مَا وَلم يَكُنْ أَيْنٌ وَلَا خَلْقٌ، وَهُوَ خَالِقُ كُلّ شَيْءٍ وزَالَ بِلَا مَكَانٍ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ خَلْقِهِ..

"موقع إسلام"

إذن أين يتوجه النشء بين هذه الأقوال؟فقد يقضي وقتا طويلا قبل أن يصل الى الجواب الصحيح.فيكون قد ضيع أوقات العبادة..

ما يجب معرفته على المكلفين:

إذابلغ الشخص سن الرشد, فتحنا له الباب ليتعلم , وقبل ذلك نوجهه بكلمة فنقول:يا بني,اعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء والرسل, عليهم الصلاة والسلام,ليبينوا للناس دينهم الحق,لهذا تعددت الرسل والأنبياء,عليهم الصلاة والسلام..ذلك أنه كلما بعث نبي أو

رسول,برزمن قومه من يكذبه,ومن يحرف دينه...لهذا لم يبق دين على حقيقته,إلا دين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام,والسبب هوأن الله تعالى تكلف بحفظ القرآنفقال عزوجل: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا

لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر : 9وأنه تعالى علم الناس القراءة والكتابة,فلم يعد الناس يعتمدون على الحفظ الذي قد يعتريه النسيان, والزيادة والنقصان..ففي دين اليهود مثلا نجد أنهم يقولون:قال الله :

يا موسى ,إني جعلتك لفرعون إلها..وهذاغيرصحيح, لأن غرض إرسال الرسل عليهم الصلاة,هو توحيد الله تعالى,ونفي الشريك عنه عزوجل,فكيف يأمربالشرك أويشرعه؟فلزم أن يكون هذا الكلام ممنسوبا بالخطأ الى الله تعالى .كذلك دين النصارى الذي حاربه اليهود كثيرا,ثم جاء اجتماع 325م,فاتفق بعض النصارى على أمور شركية ,كتأليه المسيح عليه السلام,والقول بالثتليث...ففسد دينهم..وبعث آخر نبي,وهوسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام,ليجدد الدين,ويصلح ما أفسده المفسدون,ويرد الناس الى الصواب قبل فوات الأوان..هذه هي الأديان السماوية الثلاثة المتبقية,فلا تختر غير الإسلام يا بني,ولا تغتربقول من يقول لا يجوز التقليد في العقائد,إن ذلك مخالف لشرع الله تعالى,فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام:أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا :لا إله إلا

الله,فمن قال لا إله إلا الله ,فقد عصم مني ماله,ونفسه,وحسابه على الله.وهو حديث قال عنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:بأنه حديث متواتر..وله روات كثيرة...ولم يقل صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا بين الديانات.نعم إذا كان أهل الديانات الأخرى,يرغبون في دينهم وهم لا يقاتلوننا على ديننا,فإننا نترك لهم الاختيار..وحسبهم

جهنم. لأن الله تعالى خيرهم...إذ قال عزوجل:" وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ يونس : "99

المرحلة الثانية:

بعد هذه التدريبات,وبعد أن يكون قد عرفت ما هوالإسلام,وأخذت نظرة عن الديانات الأخرى,الآن يمكنه أن تزداد معرفة عن صفات الله تعالى,وعن صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ولقد وضع السادة العلماء قواعد وأحكاما ,وآليات للدخول في ميدان العقيدة,دخولا أكثرتعمقا,وقد يصل مرحلة التعقيد والتيه عندما يبحث في أمورغيبية,لم نؤمربالبحث فيها...

أقسام الحكم:

الحكم في مجال العقيدة ثلاثة أقسام هي:

- الحكم العقلي

- الحكم الشرعي

- الحكم العادي

الأول يكلف به البالغون سن الرشد عند الباحثين في العقيدة, بحثا يعتمد أدوات المنطق ..ويظهرأنه لا يجب ,وإنما هومن قبيل

التأكد والتوضيح.ذلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يأمر به,ولم يعتمده الصحابة رضي الله تعالى عنهم.وإنما ظهرمع ظهور علم الكلام,الرادعن الفلاسفة ومحاربي الإسلام,والمؤولين تأويلات لا أساس لها من الصحة أحيانا,كبعض معتقدات المعتزلة,ومن شابههم..إذن فهم لجأواإلى هذه الطرق الكلامية,لبناء نشء قادر على المناقشة والرد عن المخالف,فهوكحماية,وليس واجبا,خاصة وأنه لا يستطيع كل واحد استعمال هذه الأدوات للوصول الى الحقيقة,فهناك عوام,ومن لا قدرة له على الخوض في علم غير وارد عن النبي عليه الصلاة والسلام,ولاعن الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

نعم لقد أمرنا الله تعالى بالتفكرفي خلق السماوات والأرض,وهو تأمل غير معقد,ولا متناقض كما رأينا في بعض الاستنتاجات,التي بلغها بعض من يقول الله تعالى في السماوات,والبعض يقول ليس

فيها ولا في غيرها,ولا هوتحت ولا فوق...فالحكم العقلي لا تكون نتائجه دائما متشابهة,فقد يأتي بالشء وضده إذا لم يحسن الناس استعماله.ومن الأمورالتي خاض فيها البعض وهي غيرواجبة قولهم:هل البقعة الشريفة أحسن من العرش,أم العرش أحسن؟فهذا خوض في مسألة خطيرة,قد يتعرض من أخطأ فيها لعقا ب,وهوغير مكلف بها..لأن ذلك من اختصاص الله تعالى,هوالذي يفضل أولا يفضل..فما كان عليهم ليفتحوا مثل هذا الباب.فقد جاء في فضائل

المدينة,أن أبا عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى,نقل عن البعض أن البقعة الشريفة أفضل من العرش...وهذا كلام دار بين مؤلف كتاب "عقد الجوهرفي مولدالنبي الأزهر"والتاج السبكي,ومن رد على القائلين بالتفضيل,في تأليف سماه:"الرد على الكوكب الأنورعلى حقيقة الجوهر". هذا حسب ملخص كتبه والدي,الفقيه الشيخ محمد ابن المكي سراج الين ,العوني ادسيريسي رحمه الله تعالى. وهو مخطوط موجود عندي,جمعه في سفرواحد,مع مجموعة من التآليف,هي كالآتي:

- مصطلح الجديث
- الردعلى من قال البقعة الشريفة,أفضل من العرش المجيد.
- نظم وشرحه في الفرائض
- الاتحاف والوداد ببعض متعلقات الولاد.
- رفع اللجاج والشقاق عن الحكم بالبينونة في الطلاق.

وإليك هذه الإجابة التي أجاب بها موقع: "عقيدة أهل السنة"وهو يرد على ابن اعثيمن الذي لا يرى أن هناك ما يفيد كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الخلق,وضمنها كلام عن المفاضلة بين العرش وقبر النبي عليه الصلاة والسلام:

الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق أجمعين ولا ينكر هذا إلا من حمل في قلبه ضغينة تجاه الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أجمع الجمهور أن البقعة التي دفن فيها المصطفى أفضل من العرش والجنة فكيف بالحبيب صلى الله عليه وسلم !!!.

10

فيما يلي سنورد نقولاً من أقوال العلماء فيها الإجماع على أن مكان جسد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من العرش.
قال الشيخ الخفَّاجي ينقل عن الإمام السبكي وسلطان العلماء العز ابن عبد السلام ويقرهم على قولهم. [قال القاضي عياض اليحصبي في كتابه الشفا: ولا خلاف أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض] فعلَّق عليه الشيخ الخفَّاجي [بل أفضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكي رحمة الله].اهـ نسيم الرياض ج 3 ص 531 ونقل عن ابن عبد السلام مثل ذلك.
قال الإمام الحصفكي الحنفي في الدر المختار، وهذا الكتاب من أشهر كتب الحنفية يقول صاحبه [لا حرم للمدينة عندنا ومكة أفضل منها على الراجح إلا ما ضم أعضاءه عليه الصلاة والسلام فإنه أفضل مطلقا حتى من الكعبة والعرش والكرسي. وزيارة قبره مندوبة، بل قيل واجبة لمن له سعة] الدر المختار ج 2 ص 689.
قال الشيخ محمد بن أحمد عليش المالكي في شرحه على مختصر الخليل [ومحل الخلاف في غير الموضع الذي ضمه صلى الله عليه وسلم فإنه أفضل من الكعبة والسماء والعرش والكرسي واللوح والقلم والبيت المعمور] منح الجليل شرح مختصر الخليل ج5 ص 481.

قال الإمام السخاوي في التحفة اللطيفة [مع الإجماع على أفضلية البقعة التي ضمته صلى الله عليه وسلم، حتى على الكعبة المفضلة على أصل المدينة، بل على العرش، فيما صرح به ابن عقيل من الحنابلة.

ولا شك أن مواضع الأنبياء وأرواحهم أشرف مما سواها من الأرض والسماء، والقبر الشريف أفضلها، لما تتنزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة، التي لا يعملها إلا مانحها، ولساكنه عند الله من المحبة والاصطفاء ما تقصر العقول عن إدراكه] اهـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي الصفحة 12

قال ملا علي القاري الحنفي في المسلك المتقسط في المنسك المتوسط [أجمعوا على أنّ أفضل البلاد مكّة والمدينة زادهما الله شرفًا وتعظيمًا، ثم اختلفوا بينهما أي في الفضل بينهما، فقيل: مكة أفضل من المدينة، وهو مذهب الأئمة الثلاثة وهو المرويُّ عن

بعض الصحابة، وقيل: المدينة أفضل من مكة، وهو قول بعض المالكية ومن تبعهم من الشافعية، وقيل بالتسوية بينهما] ... إلى أن قال [والخلاف أي الاختلاف المذكور محصورٌ فيما عدا موضع القبر المقدس، قال الجمهور: فما ضمّ أعضاءه الشريفة فهو أفضل بقاع الأرض بالإجماع حتى من الكعبة ومن العرش] انتهى. المسلك المتقسط في المنسك المتوسط ص351 - ص352

قال الإمام البهوتي في شرح منتهى الإرادات (525/2) [الكعبة أفضل من مجرد الحجرة فأما والنبي صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله ولا العرش وحملته والجنة، لأن بالحجرة جسدا لو وزن به [لرجح

قال الإمام ابن عابدين الحَنَفِي في رد المحتار علي الدر المختار [وكذا أي الخلاف في غير البيت: فإن الكعبة أفضل من المدينة ما عدا الضريح الأقدس وكذا الضريح أفضل من المسجد الحرام. وقد نقل القاضي عياض وغيره الإجماع على تفضيله حتى على الكعبة، وأن الخلاف فيما عداه. ونقل عن ابن عقيل الحنبلي أن تلك البقعة

أفضل من العرش، وقد وافقه السادة البكريون على ذلك. وقد صرح التاج الفاكهي بتفضيل الأرض على السموات لحلوله صلى الله عليه وسلم بها، وحكاه بعضهم على الأكثرين لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها وقال النووي: الجمهور على تفضيل السماء على الأرض، فينبغي أن يستثنى منها مواضع ضم أعضاء الأنبياء للجمع بين أقوال العلماء] اهـ ج 2 ص 688

قال الإمام ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج (167/5) [وهي كبقية الحرم أفضل الأرض عندنا وعند جمهور العلماء للأخبار الصحيحة المصرحة بذلك وما عارضها بعضه ضعيف وبعضه موضوع كما بينته في الحاشية ومنه خبر "إنها أي المدينة أحب البلاد إلى الله تعالى" فهو موضوع اتفاقا، وإنما صح ذلك منغير نزاع فيه في مكة إلا التربة التي ضمت أعضاءه الكريمة صلى الله عليه وسلم فهي أفضل إجماعا حتى من العرش]. اهـ

وقال الشيخ شمس الرملي نقله الشوبري في حاشيته على أسنى المطالب مؤيداً له [ومحل التفاضل بين مكة والمدينة في غير

موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم، أما هو فأفضل بالإجماع، كما نقله القاضي عياض، قال ابن قاضي شهبة قال شيخي ووالدي: وقياسه أن يقال إن الكعبة المشرفة أفضل من سائر بقاع المدينة قطعاً، ما عدا موضع قبره الشريف، وبيت خديجة الذي بمكة أفضل موضع منها

بعد المسجد الحرام، قاله المحب الطبري، وقال النووي في إيضاحه المختار استحباب المجاورة بمكة، إلا أن يغلب على ظنه الوقوع في الأمور المحذورة، وقوله، وأما هو فأفضل بالإجماع، قال شيخنا - أي الشمس الرملي -: وأفضل من السموات السبع ومن العرش والكرسي ومن الجنة] اهـ ج5 ص 435

وفي حاشية البجيرمي على الخطيب (122/1) [قال الرملي في شرحه: ومكة أي وكذا بقية الحرم أفضل الأرض للأحاديث الصحيحة التي لا تقبل النزاع كما قاله ابن عبد البر وغيره، وأفضل

بقاعها الكعبة المشرفة ثم بيت خديجة بعد المسجد الحرام، نعم التربة التي ضمت أعضاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع ما مر حتى من العرش] هـ

وقال الإمام النفراوي في الفواكه الدواني (37/4) [قال ابن عبد السلام: والتفضيل مبني على كثرة الثواب المترتب على العمل فيهما، والخلاف المذكور بين الأئمة في غير قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم لقيام الإجماع على أفضليته على سائر بقاع الأرض والسموات وعلى الكعبة وعلى العرش كما نقله السبكي لضمه أجزاء المصطفى الذي هو أفضل الخلق على الإطلاق، ولعل معنى فضل القبر على غيره أنه أعظم حرمة من غيره، لا لما قاله ابن عبد السلام في تفضيل المساجد على بعضها فافهم]. أهـ

وقال المناوي في شرحه المسمَّى فيض القدير [والخلاف فيما عدا الكعبة فهي أفضل من المدينة اتفاقا خلا البقعة التي ضمت أعضاء الرسول صلى الله عليه وسلم فهي أفضل حتى من الكعبة كما حكى عياض الإجماع عليه] اهـ فيض القدير ج 6 ص 343

قال شمس الدين الشامي في سبل الهدى والرشاد قول السبكي والقاضي عياض وأقرّه قال [ولا ريب أن نبينا صلّى الله عليه وسلّم

أفضل المخلوقات، فليس في المخلوقات على الله تعالى أكرم منه، لا في العالم العلوي ولا في العالم السفلي كما تقدم في الباب الأول من الخصائص] اهـ

قال الإمام النووي رحمه الله في حديث مسلم [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ". وهذا الحديث دليل لتفضيله صلى الله عليه وسلم على الخلق كلهم، لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة، وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الآدميين وغيرهم] انتهى.

فيستفاد من من كل ما ورد ومن هذا الحديث الشريف ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق كلهم اي أفضل من كل

مخلوق السماء والأرض والعرش. وبذلك شرفت البقعة الطاهرة التي بها جسده الطاهر و التربة التي ضمت أعضاءه بابي وأمي هو صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الخلائق صلوات ربي وتسليمه عليه تسليماً كثيرا.... وكتب باسم جماعة أهل السنة والدعوة الصوفية ما نصه: روضة قبرك *** أفضل من عرش الله وابرك

عندما قال الشيخ البرعي هذا البيت استند الي قول العلماء المعتبرين عند الامه

ولكن بعض المتمنهجين بمنهجهم جهلاء يطلقون الاحكام من وحي شياطينهم ومن عند انفسهم هداهم الله

هاكم بعض اقوال العلماء المعتبرين عند الامه مما يؤيد قول الشيخ البرعي عليه الرحمه

قال الشيخ الخفاجي ينقل عن الامام السبكي وسلطان العلماء العز بن عبدالسلام ويقرهم علي اقوالهم .[قال القاضي عياض اليحصبي في كتابه الشفا : ولا خلاف في موضع قبره صل الله عليه وسلم افضل بقاع الارض] فعلق عليه الشيخ الخفاجي [بل افضل من السماوات والعرش والكعبه] كما نقله الامام السبكي رحمه الله في نسيم الرياض ج /3. ص 531 . ونقل عن سلطان العلماء العز ابن عبد السلام مثل ذلك.

قال الامام الحصفكي الحنفي في الدر المختار وهذا الكتاب من اشهر كتب الحنفيه يقول صاحبه [ما ضم اعضاءه الشريفه عليه الصلاة والسلام فانه افضل مطلقا من الكعبه والعرش والكرسي .] الدر المختار ج/2 ص/689

قال الشيخ محمد بن الشيخ احمد عليش المالكي في شرحه علي مختصر الخليل : [ومحل الخلاف في غير الموضع الذي ضمه صل الله عليه وسلم فانه افضل من الكعبه والسماء والعرش والكرسي واللوح والقلم والبيت المعمور] منح الجليل شرح مختصر الخليل ج/ 5 ص/ 481

قال الامام السخاوي في كتابه التحفه اللطيفه في تاريخ المدينه الشريفة : [مع الاجماع علي افضلية البقعه التي ضمته صل الله عليه وسلم حتي علي الكعبه المفضله علي اصل المدينه بل علي العرش فيما صرح به ابن عقيل من الحنابله] ص 12

قال الامام الملا القاري الحنفي في كتابه المسلك المتقسط في المنسك المتوسط : [والخلاف اي الاختلاف المذكور في ما عدا موضع القبر المقدس ، قال الجمهور :فما ضم اعضاءه الشريفه فهو افضل بقاع الارض بالاجماع حتي من الكعبه ومن العرش] ص /351 -352

قال الامام بن حجر الهيتمي في كتابه تحفة المحتاج : [الا التربة التي ضمت اعضاءه الكريمه صل الله عليه وسلم فهي افضل اجماعا حتي من العرش] ج/5. ص / 167

وقال الامام النفراوي في كتابه الفواكه الدواني : قال ابن عبد السلام :[والخلاف المذكور بين الائمه في غير قبر المصطفي صل الله عليه وسلم لقيام الاجماع علي افضليته علي سائر بقاع الارض والسماوات وعلي الكعبه وعلي العرش كما نقله السبكي] ج/ 4 ص/ 37

محبي الداعية مزمل ,*إلى* بواسراء طارق عمر حضري وفي مقال: عوض فقيري

قال لبرعي فى احدى مدائحه

..روضة قبرك افضل من عرش الله وابرك

الوهابية كفروه

الإجماع على أن مكان جسد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من العرش

1- الإمام ابن عقيل الحنبلي و ابن القيِّم الجوزية كما في بدائع الفوائد

((فائدة))

(هل حجرة النبي أفضل أم الكعبة)

قال ابن عقيل: سألني سائل أيما أفضل حجرة النبي أم الكعبة؟
فقلت: إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل ،
وإن أردت وهو فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنه عدن ولا الأفلاك الدائرة
((لأن بالحجرة جسدا لو وزن بالكونين لرجح
ابن القيم بدائع الفوائد ج3 ص655
ونقل ابن القيّم لها تحت عنوان (فائدة) تحت كتاب اسمه "بدائع الفوائد" وإقراره عليها يدل على أنَّه موافق لها غير منكر لها ..
2- الشيخ الخفَّاجي ينقل عن الإمام السبكي وسلطان العلماء العز ابن عبد السلام ويقرهم على قولهم.
قال القاضي عياض اليحصبي في كتابه الشفا
ولا خلاف أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض))
فعلَّق عليه الشيخ الخفَّاجي
بل أفضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكي رحمة الله))اه
نسيم الرياض ج (3) ص (531) ونقل عن ابن عبد السلام مثل ذلك
3- الإمام الحصفكي الحنفي في الدر المختار
وهذا الكتاب من أشهر كتب الحنفية يقول صاحبه

16

لا حرم للمدينة عندنا ومكة أفضل منها على الراجح
إلا ما ضم أعضاءه عليه الصلاة والسلام فإنه أفضل مطلقا حتى من الكعبة والعرش والكرسي
وزيارة قبره مندوبة , بل قيل واجبة لمن له سعة)) اه
الدر المختار ج2 ص 689
4- الشيخ محمد بن أحمد عليش المالكي في شرحه على مختصر الخليل
ومحل الخلاف في غير الموضع الذي ضمه صلى الله عليه وسلم)

فإنه أفضل من الكعبة والسماء والعرش والكرسي واللوح والقلم
منح الجليل شرح مختصر الخليل ج5 ص 481 والبيت المعمور
الإمام السخاوي في التحفة اللطيفة -5
مع الإجماع على أفضلية البقعة التي ضمته صلى الله عليه وسلم،))
حتى على الكعبة المفضلة على أصل المدينة، بل على العرش، فيما
صرح به ابن عقيل من الحنابلة
ولا شك أن مواضع الأنبياء وأرواحهم أشرف مما سواها من
الأرض والسماء، والقبر الشريف أفضلها، لما تتنزل عليه من
الرحمة والرضوان والملائكة، التي لا يعملها إلا مانحها، ولساكنه
عند الله من المحبة والاصطفاء ما تقصر العقول عن إدراكه)) اه
التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي الصفحة : 12
الملا علي القاري الحنفي في المسلك المتقسط في المنسك -6
المتوسط
أجمعوا على أنّ أفضل البلاد مكّة والمدينة زادهما الله شرفًا))
وتعظيمًا ، ثم اختلفوا بينهما أي في الفضل بينهما ، فقيل : مكة
أفضل من المدينة ، وهو مذهب الأئمة الثلاثة وهو المرويُّ عن
بعض الصحابة ، وقيل : المدينة أفضل من مكة ، وهو قول بعض
المالكية ومن تبعهم من الشافعية،وقيل بالتسوية بينهما..إلى أن
قال:
والخلاف أي الاختلاف المذكور محصورٌ فيما عدا موضع القبر
المقدس ، قال الجمهور : فما ضمّ أعضاءه الشريفة فهو أفضل

بقاع الأرض بالإجماع حتى من الكعبة ومن العرش) انتهى المسلك
المتقسط في المنسك المتوسط ص351 - ص352
الشيخ مصطفى السيوطي الرحيباني نقلاً عن الإمام ابن عقيل -7
والإمام ابن العماد في مطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهي
فرع : موضع قبره عليه الصلاة والسلام) (أفضل بقاع الأرض))
لأنه صلى الله عليه وسلم خلق من تربته , وهو خير البشر , فتربته
خير الترب , وأما نفس تراب التربة ; فليس هو أفضل من الكعبة ,
بل الكعبة أفضل منه إذا تجرد عن الجسد الشريف

وقال أبو الوفاء علي بن عقيل في: كتابه " الفنون " الذي لم يؤلف مثله في الدنيا , ولا مقداره فقد قيل : إنه مجلد لكن لما استولى التتار على بغداد طرحوا معظم كتبها في الدجلة , ومن جملتها هذا الكتاب : الكعبة أفضل من مجرد الحجرة , فأما والنبي صلى الله عليه وسلم فيها ; فلا والله ولا العرش وحملته والجنة , لأن بالحجرة جسدا لو وزن به سائر المخلوقات لرجح
ويتجه : أنه يؤخذ من هذا , أي : من أن الحجرة الشريفة بما فيها من الجسد الشريف أفضل من سائر البقاع : أن الأرض أفضل من السماء , لأن شرف المحل بشرف الحال فيه
قال ابن العماد في الذريعة " : اتفق أكثر أهل العلم على أن الأرض أفضل من السماء بمواطئ أقدامه الشريفة صلى الله عليه وسلم ولأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام , خلقوا منها , ولأن السماوات تطوى يوم القيامة وتلقى في جهنم , وأما الأرض ; فإنها تصير مطالب أولي النهي خبزة يأكلها أهل المحشر مع زيادة كبد الحوت في شرح غاية المنتهي ج2 ص385
8- قال الإمام البهوتي في " شرح منتهى الإرادات " 525/2 قال في الفنون : الكعبة أفضل من مجرد الحجرة فأما والنبي صلى الله عليهوسلم فيها فلا والله ولا العرش وحملته والجنة ؛ لأن بالحجرة جسدا لو وزن به لرجح . اه
9- وقال الشيخ السمهودي في تاريخ المدينة
نقل عياض وقبله أبو الوليد والباجي وغيرهما الإخ...

هذه اجتهادات قد خالفها البعض,ولابد أن يكون أحدهما على صواب,فإذاكان الجميع على صواب,فإنه ليس في مقدوركل الناس الخوض في هذه الأمور..لهذا الأحسن نقول الله أعلم في مثلها.
الفريق الثاني الذي يتحفظ أويخالف:
.جاء في موقع الإسلام سؤال وجواب:
وهذا التفضيل إنما هو للنبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، وليس للقبر الذي دفن فيه

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجلين تجادلا، فقال أحدهما : إن تربة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من السماوات والأرض . وقال الآخر: الكعبة أفضل ، فمع من الصواب ؟
فأجاب: "الحمد لله ، أما نفس محمد صلى الله عليه وسلم فما خلق الله خلقا أكرم عليه منه ، وأما نفس التراب فليس هو أفضل من الكعبة البيت الحرام ، بل الكعبة أفضل منه ، ولا يعرف أحد من العلماء فضل تراب القبر على الكعبة إلا القاضي عياض ، ولم يسبقه أحد إليه ، ولا وافقه أحد عليه ، والله أعلم" انتهى
وممن أنكركون قبرالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم,أفضل من العرش: أبومجمد
السلمي في جوابه الآتي:
الجفري علي الصوفي, يدعي الإجماع على أن قبر النبي عليه الصلاة والسلام, أفضل من عرش الله تعالى. ويقول: هذا اجماع يقول داعية التصوف علي الجفري: الموطن الذي دفن فيه سيد الوجود شُرف بكرامة لم يُشرف بها موطن آخر من المواطن الحسية ، حتى قال أهل السنة والجماعة: إن الموطن الذي دفن فيه رسول الله هو أفضل من الكعبة بذاتها ، الخلاف بين من يفضل مكة والمدينة ؛ المدينة بعامتها وليس البقعة التي دفن فيها رسول الله ، الإمام الشافعي يرى أفضلية مكة على المدينة ، ومالك يرى أفضلية المدينة على مكة ، نعم لكن البقعة التي دفن فيها ،
أنها أفضل من الكعبة بل أفضل من اللوح ، بل أفضل من العرش ، بل أفضل من القلم ، بل أفضل من سدرة المنتهى

الاتفاق كامل بين أئمة أهل السنة
قلت: حسبي الله ونعم الوكيل ، يدعي الجفري الإجماع على أن القبر الذي دفن فيه النبي صلى الله عليه وسلم ،أفضل من العرش
الذي يستوي عليه ربنا عز وجل...

وقال علاء العريبي :
خطورة تكرار د.على جمعة ما سبق وكرره وتبناه البعض، من أن قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، أفضل من العرش والجنة والكرسى، أنه يساوى بين مخلوقين يختلفان فى الكيفية، فالقبر من تراب، أما العرش فغير معلوم، من حيث الكيف والحجم والنوع، وتفضيل جمعة وغيره القبر عن العرش يشيئ العرش ويحوله إلى شىء أو جسم محدد الحجم والنوع والكيفية، كما أنه، وهو من الخطورة بمكان، يتيح القياس على من فى القبر بمن يستوى على العرش، وعقد مقارنة مثل المقارنة بين القبر والعرش، ويأتى القياس على الشكل التالى: القبر أفضل من العرش، والنبى يدفن فى القبر، والله عز وجل يستوى على العرش، إذن أعضاء النبى أفضل من الله عز وجل، وهذا كفر والعياذ بالله.

20

بالطبع د.جمعة لم يفكر فى المسألة من خلال هذا المنحى، بل إن تكراره لهفوات البعض، حتى لو كان البعض كبار الأئمة، فيه

خطورة ومغالاة قد تخرج من الملة، فتفضيل القاضى عياض ومن تبعه فيما بعد من أصحاب المذاهب الأخرى، يدخل فى باب الرأي والكلام، وليس فى خانة الفتيا، وإنكار رأيه أو مراجعته أو رده لا يمس أصلاً من أصول الشريعة، لا من حيث الاعتقاد ولا العبادات، فهو مجرد لغو أسس على أوهام وظنون.

لا القاضى عياض ولا غيره ممن كرروا رأيه وأوهامه، يمتلكون حجة ملموسة على ان قبر الرسول أفضل من العرش، فما هو الدليل على ذلك، هل الدليل كما زعموا أن القبر يضم رفات النبى، والأنبياء عصمهم الله واختارهم، لذلك فأعضاؤهم أفضل من جميع المخلوقات، هذا شطط ومغلاة، لأن من تبنوه عقدوا مقارنة بين أعضاء النبى والملائكة، والنبى وسيدنا جبرائيل، مع ان وجه المقارنة غير متوفر تماما.

الذى يجب أن يعرفه د.على جمعة، ومن يتبنى هذا الشطط، أن العرش أفضل من قبر الرسول، وأفضل من الكعبة، لأن العرش

خلقه الله لنفسه لكي يستوى عليه، ومن المنطقي أن يخلقه مما يتوافق وذاته سبحانه وتعالى، فمن المستحيل أن يخلق العرش من طوب ورمل وأسمنت وزلط، أو من تراب وقش، أو من خشب وعاج، أو من ذهب وزمرد، فهذه النوعية من العروش تتناسب ومخلوق خلق من مادتها، أو كما يقول العامة «كل شله يشبهله»، والله عز وجل لا يمكن حده أو وصفه أو تشييئه، أو أن يستوي على عرش لا يتوافق أو لا يتناسب وذاته سبحانه.

كما يجب أن يعلم د. جمعة جيدا، أن الله اختار محمداً صلى الله عليه وسلم البشرى وعصمه لكي ينذرنا ويبلغنا ويعلمنا أن الله واحد، لا يلد ولا يولد، متعال، لا يمكن أن تراه أو تحده، بمعنى آخر: إن الله عز وجل اختاره لكي يعلمنا أن نضع ذاته فى ذاتها الحقيقية وليس فى غيرها، إن الله أرسله لكى ينبهنا إلى أن للكون والوجود إلهاً يجب

أن نعبده، بمعنى أننا مطالبون بأن نؤمن بالله، بالصفات التى كشف هو لنا عنها، وأن نعبده، ولم يختر محمداً صلى الله عليه وسلم لكى نقدسه، فمحمد صلى الله عليه وسلم مجرد رسول مثل سابقيه، اختير لمهمة وقام بها، ولم يتم اختياره لكى نؤلهه أو نقدسه.

الذى يجب أن يفهمه د.جمعة وينتبه إليه جيدا أن سيدنا محمد مثل غيره من الأنبياء، جاء ليضع الذات الإلهية فى ذاتها، وليس لكى يكون واسطة نعبد الله ونتقرب إليه من خلالها، فلا وساطة بين العبد وربه، ولا قداسة لمخلوق حتى لو كان معصوما أو مرسلا، القداسة لله وحده.

نعود ونكرر: قبر الرسول ليس أفضل من الكعبة، ولا أفضل من العرش، ولا أفضل من الملائكة، ولا أفضل من السماوات، ولا أفضل من الكرسى وسدرة المنتهى، بل على العكس الكعبة والعرش والكرسي والملائكة والسماوات وسدرة المنتهى أفضل من قبر

الرسول، كما ان رفات الرسول، أو الرسل والأنبياء، ليست أفضل من المخلوقات السماوية، ولا مجال لعقد مقارنة بينهم

كذلك رد الشيخ :
سمير بن خليل المالكي

على سؤال بما يلي:
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد ، فقد أرسل إلي أحد إخواني من طلبة العلم يسأل : هل يصح أن يقال إن قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة ومن العرش والكرسي ومن الجنة ؟
وأخبرني أنه حضر خطبة الجمعة الماضية في جدة ، وأن الخطيب قرر ذلك الكلام في خطبته.
وقد استنكر السائل هذا القول ، خاصة ، وأنه صدر من طالب علم مشهور !
وقد أجبت السائل بجواب مختصر ، وأحلته على ما كتبته سابقا في كتابي " جلاء البصائر " ، حيث أوردت فيه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية _ رحمه الله _ في هذه المسألة .
ورأيت أن أعيد ما ذكرته هناك ، حتى تعم الفائدة ، ولئلا يغتر الناس بقول أخينا الخطيب _هداه الله .
والخطيب من دعاة السنة المعروفين في جدة ، وما قاله وقرره في خطبته يعد من الأخطاء الشنيعة التي يستغرب صدورها منه ، غفر الله له ، ومع ذلك فإن هذا لا يقلل من قدره ، ولا يحط من شأنه ، لأنه ما من عالم ولا فاضل إلا وأخطأ في مسائل ، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب ذلك " القبر " ، صلى الله عليه وسلم .

و أحب أن أبدأ هنا بذكر بعض المسائل المهمة :

أولا : صحة القول أو خطؤه ، لا عبرة فيه بقائله ، بل بما وافق الحق ،
ولهذا قال معاذ بن جبل رضي الله عنه " وأحذركم زيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق " رواه أبوداود.
و قال بعض السلف : لو أخذت برخصة (أو زلة) كل عالم لاجتمع فيك الشر كله .
ثانيا : القول بتفضيل القبر النبوي على العرش ـ مع كونه بدعة ـ إلا أنه يتفاوت خطره بحسب اعتقاد قائله ، وأشهر من قاله من العلماء المتقدمين : ابن عقيل الحنبلي ، وتبعه عدد من العلماء ، كالهيتمي والقسطلاني والتاج السبكي وغيرهم
وهؤلاء لا يعتقدون أن فوق العرش والكرسي شيئا ـ كسائر المعطلة و المفوضة ـ بخلاف أهل السنة ، الذين يعتقدون أن الله عز وجل مستو بذاته على العرش على الحقيقة ، استواء يليق بجلاله ، ولهذا اقشعر الإمام مالك رحمه الله ، وعلته الرحضاء ، لما سأله السائل عن كيفية الاستواء.
أما الكرسي فهو موضع قدمي الرحمن ، كما صح بذلك الأثر عن ترجمان القرآن رضي الله عنه .
فلا ينبغي لشيخ سلفي ، أن يفضل القبر الذي حوى جسد النبي صلى الله عليه وسلم ، على العرش الذي استوى عليه الملك العلي !
ثالثا : تفضيل البقاع والأمكنة ، بعضها على بعض ، لا مجال فيه لاجتهاد ولا لقياس ، بل هو من الأمور التوقيفية التي تعرف بالنص ، كما هو معلوم .
فالخوض فيها بغير نص افتئات على الشرع .
رابعا : هذا القول الذي جاء على لسان الخطيب ، مذكور في كتاب الروض المربع آخر المناسك ، وهو من أخطاء المؤلف _ رحمه

الله _ وقد أنكره علماؤنا ومشايخنا ، وأذكر أن عددا من الأساتذة في الجامعات كانوا ـ أثناء الشرح ـ إذا جاءوا إلى هذا الموضع حذفوه ، أو انتقدوه وبينوا خطأه .
فكان الأولى بهذا الخطيب أن يتجنب إشاعة مثل هذه الأخطاء ، خاصة في خطب الجمعة ، التي يحضرها فئام من العوام ، وقد تثير شبهات عندهم ، أو تؤدي إلى محذور ، كتعظيم القبر النبوي واتخاذه عيدا ، ونحو ذلك من البدع المحدثة .
خامسا : إن هذا الشيخ الداعية السلفي على اطلاع واسع بما عليه أكثر الناس اليوم من تعظيم قبور الصالحين ، ومنها قبر سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا ورد النهي عن اتخاذها مساجد ، فلا يصلَّى عندها ولا إليها ، ولا يُتحرى الدعاء عندها ، ولا يشد الرحال إليها ، لأن ذلك يفضي إلى الغلو فيها و تعظيمها ، ومن ثم عبادتها .
فليس من الحكمة أن يذاع في الملأ مثل هذا القول المحدث ، الذي لو فرض أنه حق ، وأن عليه أدلة من الشرع : لكان الأولى عدم ذكره ؛ صيانة لجناب التوحيد ، وسدّاً لذريعة الوقوع في الشرك .
وقد صح في الأثر " حدثوا الناس بما يعرفون " ، علقه الإمام البخاري عن علي بن أبي طالب .
و الناس في هذا الزمان بأمس الحاجة إلى نشر التوحيد وتعظيمه في قلوبهم ، لا إلى تعظيم القبور والمشاهد .
وأخيرا ، فإن هذا القول المحدث ـ أعني تفضيل القبر النبوي على الكعبة والعرش والكرسي ـ قد تبناه ونصره بعض دعاة الفتنة والشرك في القرون المتأخرة ، وقد رددت عليهم في كتابي " جلاء البصائر " ، وإليك نص ما كتبته هناك :
ومن المسائل الغريبة التي أورد المخالفون ، زعمهم: أن القبر النبوي أفضل من العرش والكرسي ومن جنة عدن، ومن سائر ما في الكون.
وزعمهم: أن المسجد النبوي ما شرُف ولا عظم إلا من أجل القبر.

فقد جاء في قصيدة الهيتمي التي ساقها المخالف في " الذخائر".

وبقعته التي ضمته حلقاً --- رياض من جنان تستطيل
وأفضل من سموات وأرض --- وأملاك بأفلاك تجول
ومن عرش ومن جنات عدن --- وفردوس بها خير جزيل

ثم نقل كلام محمد حبيب الشنقيطي في شرح هذه الأبيات، فقال" قال القسطلاني في "المواهب اللدنية": وأجمعوا على أن الموضع الذي ضم أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة، بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي أنها - أي البقعة التي قبر فيها عليه الصلاة والسلام - أفضل من العرش. وصرح الفاكهاني بتفضيلها على السموات.." ا هـ([1]) باختصار.

وقال في موضع آخر " وكذلك يشرع شد الرحال إلى مسجده صلى الله عليه وسلم ، الذي ما شرف وعظم إلا بإضافته إليه، ولكون قبر سيد المرسلين فيه"([2]).

والجواب: إن هذا القول من أفسد الأقوال وأنكرها، وبطلانه ظاهر لمخالفته للأدلة الشرعية والعقلية، ولم يستند قائله على دليل أو إلى شبهة دليل، وإنما هو الظن، والظن أكذب الحديث، كما صح في الحديث([3]).

وقد فند هذا القول شيخ الإسلام رحمه الله، فقال" أما نفس محمد صلى الله عليه وسلم فما خلق الله خلقاً أكرم عليه منه. وأما نفس التراب، فليس هو أفضل من الكعبة البيت الحرام، بل الكعبة أفضل منه، ولا يعرف أحد من العلماء فضل تراب القبر على الكعبة إلا القاضي عياض، ولم يسبقه أحد إليه، ولا وافقه أحد عليه، والله أعلم" ا هـ. ([4]).

وقال في موضع آخر" وكذلك مسجد نبينا ، بناه أفضل الأنبياء، ومعه المهاجرون والأنصار، وهو أول مسجد أذن فيه في الإسلام، وفيه كان الرسول يصلي بالمسلمين الجمعة والجماعة، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وفيه سنت السنة، وكانت الصلاة فيه بألف ،

والسفر إليه مشروعاً في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وليس عنده قبر.

27

والفرق بين البيت والمسجد مما يعرفه كل مسلم، فإن المسجد يعتكف فيه، والبيت لا يعتكف فيه. والمسجد لا يمكث فيه جنب ولا حائض، وبيته كانت عائشة تمكث فيه وهي حائض، وكذلك كل بيت مرسوم تمكث فيه المرأة وهي حائض، وكانت تصيبه فيه الجنابة فيمكث فيه جنباً حتى يغتسل، وفيه ثيابه وطعامه وسكنه وراحته، كما جعل الله البيوت.

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم في حال حياته كان هو وأصحابه أفضل ممن جاء بعدهم، وعبادتهم أفضل من عبادة من جاء بعدهم. وهم لما ماتوا لم تكن قبورهم أفضل من بيوتهم التي كانوا يسكنونها في حال الحياة، ولا أبدانهم بعد الموت أكثر عبادة لله وطاعة مما كانت في حال الحياة.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال" أحب البقاع إلى الله المساجد" فليس في البقاع أفضل منها، وليست مساكن الأنبياء، لا أحياء ولا أمواتاً بأفضل من المساجد هذا هو الثابت بنص الرسول واتفاق علماء أمته. وما ذكره بعضهم من أن قبور الأنبياء والصالحين أفضل من المساجد، وأن الدعاء عندها أفضل من الدعاء في المساجد، حتى في المسجد الحرام والمسجد النبوي، فقول يعلم بطلانه بالاضطرار من دين الرسول، ويعلم إجماع علماء الأمة على بطلانه إجماعاً ضرورياً، كإجماعهم على أن الاعتكاف في المساجد أفضل منه عند القبور.

وما ذكره بعضهم من الإجماع على تفضيل قبر من القبور على المساجد كلها، فقول محدث في الإسلام، لم يعرف عن أحد من السلف، ولكن ذكره بعض المتأخرين، فأخذه عنه آخر وظنه إجماعاً، لكون أجساد الأنبياء أنفسها أفضل من المساجد. فقولهم يعم المؤمنين كلهم، فأبدانهم أفضل من كل تراب في الأرض.

ولا يلزم من كون أبدانهم أفضل ، أن تكون مساكنهم أحياء وأمواتاً أفضل، بل قد علم بالاضطرار من دينهم أن مساجدهم

أفضل من مساكنهم.
وقد يحتج بعضهم بما روي من أن " كل مولود يذر عليه من

تراب حفرته" فيكون قد خلق من تراب قبره. وهذا الاحتجاج باطل لوجهين:
أحدهما: أن هذا لا يثبت، وما روي فيه كله ضعيف. والجنين في بطن أمه يعلم قطعاً أنه لم يذر عليه تراب، ولكن آدم نفسه هو الذي خلق من تراب، ثم خلقت ذريته من سلالة من ماء مهين. ومعلوم أن ذلك التراب لا يتميز بعضه لشخص وبعضه لشخص آخر، فإنه إذاً استحال وصار بدناً حيّاً، لماَّ نفخ في آدم الروح، فلم يبق تراباً.
والوجه الثاني: أنه لو ثبت أن الميت خلق من ذلك التراب، فمعلوم أن خلق الإنسان من مني أبويه أقرب من خلقه من التراب. ومع هذا فالله يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميبت من الحي. يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فيخلق من الشخص الكافر مؤمناً، نبياً وغير نبي، كما خلق الخليل من آزر، وكما خلق صلى الله عليه وسلم من أبويه. وقد أخرج نوح، وهو رسول كريم، ابنه الكافر الذي حق عليه القول، وأغرقه ونهى نوحاً عن الشفاعة فيه. وأكثر المهاجرين والأنصار مخلوقون من آبائهم وأمهاتهم الكفار. فإذا كانت المادة القريبة التي يخلق منها الأنبياء والصالحون لا يجب أن تكون مساوية لأبدانهم في الفضيلة، لأن الله يخرج الحي من الميت، فأخرج البدن المؤمن من مني كافر، فالمادة البعيدة، وهي التراب، أولى أن لا تساوي أبدان الأنبياء والصالحين.
وهذه الأبدان عبدت الله وجاهدت فيه، ومستقرها الجنة. أما المواد التي خلقت منها فهي بدنه، وفضله معلوم. وأما ما بقي في القبر فحكمه حكم أمثاله. بل تراب كان يلاقي جباههم عند السجود، وهو أقرب ما يكون العبد من ربه المعبود، أفضل من تراب القبور واللحود" ا هـ ([5])باختصار.
ويقال أيضاً: إنه يلزم على ذلك القول الفاسد، تفضيل كل بقعة

وطئتها قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لامسها جسده الشريف ، على سائر البقاع والمساجد، وعلى الجنة والكرسي والعرش، فلا يكون ذلك خاصّاً بالقبر أو البيت الذي يسكنه.

29

فهل يقول عاقل إن موضعاً قضى فيه النبي صلى الله عليه وسلم حاجته في الصحراء أفضل من الكعبة والعرش والكرسي؟

فإن قيل: إن التفضيل ليس للبقعة ذاتها، بل لمن حلَّ فيها، أما هي فكمثلها من البقاع.

فالجواب : هذا باطل أيضاً، فإن تفضيل الأزمنة والأمكنة والأشخاص لا يخضع لقياس، بل هو أمر توقيفي، فالله تعالى فضل بعضها على بعض، ففضل رمضان على سائر الشهور، وفضل الجمعة ويوم عرفة على سائر الأيام، وفضل المساجد الثلاثة على سائر البقاع، ومنها بيوت الأنبياء ومساكنهم التي يأوون إليها.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء، ولم يصيره ذلك أفضل من الكعبة ولا المساجد، لا في وقت تحنثه فيه ولا بعد ذلك.

* ويلزم من تفضيل القبر على الكرسي والعرش، تفضيل المخلوق على الخالق، فإن الأول إن كان قد ضمن جسد المصطفى، فالعرش الرحمن عليه استوى، وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكرسي موضع القدمين([6]).

وقول يؤدي إلى مثل هذه الإلزامات الباطلة، حري بأن يطرح ويضرب به عرض الحائط.

قلت:

مثل هذه الأمورالغيبة ينبغي تجنب الخوض فيها,وتجنب فرض معرفتها على الناس. كذلك هل الله تعالى جسم أم روح؟...فهذه الأمورأعفانا الله تعالى منها,بدليل أن النبي صاى الله تعالى عليه وسلم,نهى عن الخوض في أمورمن إملاآت الشيطان,كما مرفي

الجديث.كذلك عندما سئل النبي عن الروح,الله تعالى سد هذا الباب الذي يجهله الناس,وهو من الأمورالغيبية فقال تعالى:" وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِرَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً.... [الإسراء : 85] ",سد الباب عزوجل حتى لا يفتتن من أتي قليلا من العلم بالخوض فيمالا يعلم..فكما أعفانا سبحانه من معرفة ما هي الروح,كذلك أعفانا من البحث في هل الله تعالى روح أوجسم..فعلينا أن نكتفي بما جاء في القرآن الكريم,من كونه تعالى على العرش استوى..وأنه في السماء,وأنه يدبر الأمر...دون التعمق في الأمورالبعيدة عن العقل البشري,كقول بعهم:ما شكل الاستواء؟ وما أشبه ذلك. قلت:الحكم العقلي يكلف به البالغ سن الرشد إن كان يحسن ذلك. وهوثلاثة أقسام,

* الواجب وهو: الذي يقبل الثبوت فقط

*المستحيل هو: الذي يقبل الانتفاء فقط

*الجائزأو الممكن هو: الذي يقبل الثبوت والانتفاء معا.

وهذه الأقسام الثلاثة,كل واحد منها ينقسم الى قسمين:نظري وضروري.النظري يدرك بعد البرهنة والبحث المعمق,

والضروري يدرك من غيرنظرولا تأمل.الأول كإثبات القدم لله تعالى,والثاني ككون الواحد أقل من الاثنين.وبضرب ثلاثة في اثنين يصبح العدد ستة,مذه الستة كل واحد منها ينقسم الى

قسمين,نفي وإثبات,فيصبح العدد اثني عشرحكماعقليا.

الحكم الشرعي:

هوما يدرك بالشرع,كقولنا يجب على المكلف خمس صلوات في اليوم والليلة.

الحكم العادي:

هوالذي لا يدرك بعقل ولا بشرع,وإنما يدرك بالتجربة ,كقولنا الخبزالفطيرعسيرالهضم...

أول واجب على المكلف معرفته:

إذارجعنا الى قول الشيخ ابن عاشررحمه الله تعالى:

أول واجب على من كلف...نفهم منه أنه لا ينبغي التوقف عن العبادات,لاستعمال البرهنة على المسائل الاعتقادية,وإنما ننظر,ونتامل,ونستعمل الأحكام العقلية,ونحن نؤدي فرائضنا من صلاة, وصيام, وحج, وغيرها من الطاعات.ولقد اختلف

السادة العماء في ما هوأول شيء تجب علينا معرفته,على خمسة أقوال :

ـ معرفة الله تعالى وصفاته المباركة,ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام بالصفات اللازمة لهم,والممتنعة عنهم.

ـالنظر.والقولان معا للإمام الأشعري وآخرين رضي الله تعالى عنهم.

ـالقصد الى النظر,وهوقول إمام الحرمين رحمه الله تعالى.

ـوقال القاضي رحمه الله تعالى:أول واجب هوأول جزء من النظر.

كما اختلفوا فيمن لم يستعمل النظرعلى ثلاثة أقوال:أن المقلد مؤمن ,وقيل مؤمن عاص ,وقيل كافر.

ولعل القول الأول هوما يناسب الناس المبتدئين,وعلينا أن نبسط لهم المعرفة,ولا ندخلهم في متاهات المنطق الوعر.
ذلك أن البرهان هو:الدليل المركب ,من مقدمات قطعية الدلالة ضرورية في نفسها..فمن سيعرف هذا المصطلح من العوام, ومن أشباههم؟مع العلم أن فطاحل العلماء,اختلفواباستعمال هذه الادوات في استنتاجاتهم.فهناك من يقول الله ليس بداخل العالم ولا خارجه,وآخرون يقون :إنه على العرش ,ورجلاه

المباركتان على الكرسي,,,وهو في السماء...لهذاأرى أن يعفى الناس من البرهنة على الغيبيات,ويكتفوا بما في القرآن الكريم والسنة المشرفة,ولا نطالبهم بأكثرمن معرفة الآتي:

الصفات الواجبة لله تعالى:

يجب على المكلف أن يعرف:ثلاث عشرة صفة عليا لله تعالى هي:الوجود- والقدم- والبقاء- والغنى المطلق- ومخالفته تعالى للحوادث- وأنه واحد في ذاته المقدسة- والقدرة- والإرادة- والعلم- والحياة- والسمع- والبصر- وأنه تعالى واحد في أفعاله وصفاته العليا.هذا الصفات وتسمى صفات المعاني.

الصفات المستحيلة في حقه تعالى:

هي ضد الصفات الواجبة,أي أنها كذلك ثلاث عشرة صفة هي:العدم- الحدوث- الفناء- الافتقار- المماثلة للحوادث- نفي الوحدة- والعجز- والكراهة ضدالإرادة,لأنه تعالى لا يفعل ما يكرهه - والجهل,ويدخل في الجهل الظن,والشك,والوهم, والنسيان,ونحوذلك- والممات ضد الحياة- والصمم-والبكم- والعمى.

ما يجوز في حقه تعالى: فعل ما يريد وتركه.

تقسيمات أخرى لهذه الصفات العليا:

الصفات الواجبة قلنا ثلاث عشرة صفة عليا,تسمى صفات

المعاني,ويؤخذ منها سبعا تسمى الصفات المعنوية وهي كونه تعالى:قادرا- مريدا-عالما- حيا- سميعا- بصيرا- متكلما.
والمعتزلة لا يقولون بهذه السبعة,ويكتفون بالثلاث عشرة الواجبة. ثم إن هذه الصفات تقسم ثلاثة أقسام:

- صفة نفسية:أي الحال الواجبة لذاته تعالى وهي الوجود

- صفات السلوب وهي خمس:القدم-البقاء-القيام بالنفس- والمخالفة للحوادث-والوحدانية.سميت سلوبا لأنها نفت عن الله تعالى مالا يليق به عزوجل.

- صفات المعاني السبع المتقدمة,هي هذا القسم الثالث.
وهناك تقسيم آخر,لا أظن أنه مما ينبغي الخوض فيه,لأنه يقسم الصفات النفسية الى قديم وحادث.القديم كالوجود الإلهي.والحادث كالتحيزللجرم.وكذلك يقسمون صفات المعاني الى قديم كالصفات السبع,وحادثة كبياض الجرم وسواده..

صفات الأفعال:

منها صدورالممكنات عن القدرة والإرادة الإلهيتين.يقولون بأنها حديثة والله تعالى أعلم.

الصفات الجامعة:

هناك صفات جامعة لسائرأقسام الصفات,كالألوهية,والربوبية. ثم إن الصفات كلها منها ما يعرف من القرآن الكريم,و بالسنة المشرفة..كالسمع والبصروالكلام,وأخبار الآخرة..ومنها ما يعرف بالدليل العقلي والسمعي,كالكلام والسمع والبصر.. واختلف في قسم,هل يعرف بالنقل أم بالسمع كالوحدانية.

مع تقسيمات ابن الخياط:

التقسمات السابقة مأخوذة من كتاب ميارة رحمه الله تعالى بتصرف,وهناك تقسيم آخرللشيخ ابن الخياط رضي الله تعالى عنه,وهي باختصاركالآتي:

لا يجوزلمكلف جهل الصفات الإلهية,مما يجب أويستحيل,ليفرق بين ماهوجائزوغيرجائز,حفاظا على إيمانه.والصفات الإلهية تقسم كالآتي:صفات معان وهي ثلاث عشرة,ومعنوية وهي سبع.فأصبح العدد عشرين.الأولى ثلاثة أقسام:نفسية واحدة هي الوجود,

وسلبية أوسلوب وهي خمس كما عند ميارة.. وصفات معان.
هنا يختلف التقسيم عن تقسيم ميارة.

المعاني: عند ابن الخياط سبع قائمة بذاتها هي: القدرة – الإرادة – العلم – الحياة – السمع – البصر- الكلام.وهي صفات موجودة

في نفسها,أي أن لها تحققا في الخارج,قائمة بموصوفها. واختلف في صفة ثامنة هي: الإدراك. هل الله تعالى يدرك المذوقات,والمشمومات,والملموسات,واللذائذ والآلام...فأثبتها قوم,واكتفى آخرون بكونه تعالى عالما,وتوقف فريق ثالث فقالوا:العلم لله تعالى هل الإدراك صفة مستقلة,واجبة له تعالى,أم أنها تدخل في العلم.

الصفات المعنوية:عند ابن الخياط سبع,تترتب عن صفات المعاني السبع.فعن القدرة يترتب كونه تعالى قادرا-وعن الإرادة كونه تعالى مريدا..وهكذا.
مجموع الصفات قلنا عشرون عند ابن الخياط,يتفرع عنها أربع عقائد واجبة وهي:نفي الغرض في الأفعال والأحكام,أي نفي الحاجة الى شيء أوجده تعالى. نفي تأثير شيء من الكائنات في أثرما إلا بقوة أودعها الله تعالى فيه,كالقدرة الحادثة في الإنسان, والإحراق في النار,والماء في الري..ونفي تأثير شيء من الكائنات في أثرما بالطبع,أوبالعلة,وحدوث العالم بأسره.فأصبح العدد أربعا

وعشرين صفة عليا,أو عقيدة إسلامية في حقه تعالى.ويجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن وتركه في العدم.فأصبح العدد خمسا وعشرين عقيدة.إذا أضفنا إليها أضدادها أصبحت خمسين عقيدة ما بين واجبة ومستحيلة...وهكذا يمضي رحمه الله تعالى في تقسيماته ...التي أظن أنه من الصعوبة بمكانأن يفهمها العوام.

37

خاصة من كان حديث عهد بالإسلام..فعلينا أن نعلم المسلم والمسلمة, من الصفات ماجاء في القرآن والسنة فقط.ذلك أنهم كما قلت سابقا قد يدخلون أمورا غيبية خطيرة,كقولهم هل يشم أم لا يشم..وقولهم لا غرض له من خلق المخلوقات,وهو تعالى يقول: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ الذاريات : 56

معنى هذا أن الله تعالى خلقنا لنعبده..من غيرحاجة إلينا..فهو تكرم أولا,وإلزام ثانيا..ومن لم يطبق أمرالله تعالى يكن مصيره الى النار...فمن أخرجه الله تعالى الى الوجود,أصبح غيرقابل للزوال من المكلفين,وذلك بأمر الله تعالى .فهم إما منعمون بطاعتهم,أو معذ بون بمعصيتهم...

نسأل الله تعالى التوفيق في أعمالنا, والصفح عن زلاتنا ,ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عبداللطيف سراج الدين

العونات 7رمضان 1440

الموافق 2020/5/14